# بلاغة التناسب في سورة الزلزلة

**د. فهد بن محمد بن فهد العمار**
قسم البلاغة والنقد – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

# بلاغة التناسب في سورة الزلزلة

د. فهد بن محمد بن فهد العمار

قسم البلاغة والنقد – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٩/ ٤/ ١٤٤٣ هـ تاريخ قبول البحث: ٢/ ٦/ ١٤٤٣ هـ

**ملخص الدراسة:**

جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ذكرت في المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وبينت فيها أهداف الدراسة، وخطة البحث ومنهجه، وأما التمهيد فقد اشتمل على ما يأتي:

أولًا: التناسب: تعريفه وأهميته، ثانيًا: ترتيب آيات القرآن وسوره.

أما المبحث الأول فكان بعنوان: تناسب سورة الزلزلة مع السورة التي قبلها، والسورة التي بعدها، فذكرت المناسبة بينها وبين السورة التي تقدمتها وهي سورة البينة، والمناسبة بينها وبين السورة التي جاءت بعدها، وهي سورة العاديات،

وأما المبحث الثاني فكان بعنوان: التناسب داخل السورة: علاقة آخر السورة بمطلعها.

وهو نوع آخر من أنواع التناسب، وهو تناسب داخلي، بين أجزاء السورة نفسها، فكان لي وقفة فيه مع أهمية مطلع السورة وبلاغتها، ومع خاتمتها، وبينت فيه الارتباط الوثيق بين هذين الموضوعين، وكيف جاءت خاتمة السورة وثيقة الصلة بمقدمتها.

وأما المبحث الثالث فكان بعنوان: تناسب السورة مع مكيتها، وخصائصها الموضوعية والأسلوبية.

تناولت في هذه المبحث الخصائص التي تميزت بها سورة الزلزلة وهي مكية، مبينًا هذا التناسب وأسراره وغاياته التي جاءت السورة لتحقيقها وتأكيدها.

ثم خاتمة البحث ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم ذيلت البحث بثبت المراجع والفهارس، وفهرس الموضوعات.

**الكلمات المفتاحية:** بلاغة . تناسب . سورة الزلزلة .

# Coherence rhetorical in Surah Az-zalzalah

**Dr. fahd ben mohammed ben fahd alammar**
Department of Rhetoric, Criticism and Islamic Literature Curriculum
Faculty Arabic Language
Imam Muhammad Ibn Saud Islamic university

**Abstract:**

The research consisted of an introduction, a preamble, and three sections. The introduction dealt with the importance of the topic and the reasons for selecting the causes. In the introduction, I clarified the objectives of the study, the research plan, and its methodology. In the introduction, I clarified the objectives of the study, the research plan, and its methodology.

As for the first section, it was entitled: Proportionality between Surat Al-Zalzalah and the successive, superseding Surahs. In this topic, I mentioned that Surat Al-Zalzalah is between Surat Al-Bayinah and Surat Al-Adiyat, so I mentioned the Proportionality between it and the precedent Surah "Al-Bayinah"; and between it and the following Surah "Al-Adiyat". In this section, I have quoted from the words of the scholars. In addition, part of it was based on contemplation and deduction, building on the meaning of the verse and the interpretation of these verses by scholars.

The second topic was entitled: Proportionality within the Surah: The Relationship between the End of the Surah and its Beginning.

It is another type of proportionality; an internal proportionality among the parts of the surah itself, so I had a pause with the importance of the beginning of the surah; its eloquence, and its end. I clarified the close connection between these topics. And how the end of the surah is closely related to its Beginning. I also clarified the proportionality: in the content of the verses; and their rhetoric The third topic was entitled: The Proportionality between the surah m being Meccan, its structure, and its objective and stylistic characteristics.

In this topic, I referred to the fact that Surat Al-Zalzalah is a Meccan surah; and I mentioned that the Meccan surahs have their objective and stylistic characteristics that differ from the Medinite verses. Accordingly, this topic dealt with the characteristics that distinguished Surat Al-Zalzalah, clarifying this Proportionality, its secrets, and the objectives that the surah came to achieve and emphasize.

In the conclusion of the research, I mentioned the most important results that I reached, then the search index, in which I mentioned the references.

**key words:** Rhetoric-proportionality-Surah AlZalzalah.

## مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل القرآن فكان آية في الإعجاز، وغاية في الفصاحة والبيان، أنزله على هذه الأمة فكان رحمة لهم، وهداية وإعجازًا، رغب بقراءته، وحث على تأمله وتدبره، فكان في ذلك أجر عظيم، وعلم غزير، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فالتناسب في القرآن الكريم وجه من وجوه إعجازه، وصورة من صور ترابطه وإحكامه، وله صوره وأنواعه التي جاء عليها، فكان بهذا التناسب، وذاك التماسك لحمة واحدة لا ترى فيه خللًا ولا ضعفًا، وكأنه نزل جملة واحدة، وكأنه نزل مرتبًا كما هو في المصحف، وذلك من عظيم إعجازه، كيف وقد نزل منجمًا على مدار ثلاث وعشرين سنة، على حسب الوقائع والحوادث، فمنه المكي ومنه المدني، فضلًا عن تعدد موضوعاته، وتنوع غاياته، فسبحان من أحكم نسجه! فكان على هذا النسق العجيب، والتناسب البديع، ومن هنا جاء اختياري لهذا العنوان: (بلاغة التناسب في سورة الزلزلة)؛ لبيان بلاغة القرآن وإعجازه في هذا المجال، ولبيان صور التناسب في هذه السورة العظيمة.

ولن يكون حديثي عن التناسب عامًّا على سبيل الإطلاق، ولن يكون حديثًا نظريًّا فقط، بل ستكون دراستي عن التناسب في سورة الزلزلة خاصة، وستكون دراسة تطبيقية؛ أبين فيها بلاغة التناسب وأنواعه في سورة الزلزلة، وستكون ميدان هذا المبحث، ومجاله الفسيح، وهذا ما يميز هذا البحث، ومكمن إضافته العلمية، والدراسات التطبيقية من الأهمية بمكان في الدرس البلاغي؛ فهي تفيد من التنظير، وتنطلق منه، ولا تقف عنده، كما أنه توظيف

لجهود العلماء، وإبراز لها، ومن المهم التقاء التنظير بالتطبيق في إبراز التناسب في القرآن الكريم، وبيان بلاغته.

**أهمية الموضوع وسبب الاختيار:**

ثمة أسباب علمية دعتني إلى اختيار هذا العنوان، والكتابة فيه، ومن أهمها ما يأتي:

**أولًا:** لأهمية علم التناسب، فهو علم له قواعده وأصوله، وله علماؤه الذين أفنوا أعمارهم في خدمته، وإبرازه، وإعلاء قدره، وله امتداده الزمني في تاريخ الأمة الإسلامية، وتوافر على الكتابة فيه علماء في تخصصات شتى: فلعلماء القرآن إسهاماتهم، وكذلك لعلماء إعجاز القرآن نصيبهم منه، وأيضًا للمختصين في البلاغة ما يبين أهميته، وجليل قدره، يتجلى ذلك في الدراسات القرآنية والبلاغية، فلدينا في التفسير مثلا تفسير البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، وعنوانه شاهد على ذلك، ومن علماء القرآن: الزركشي فقد أفرد لموضوع التناسب مساحة واسعة في كتابه: (البرهان في علوم القرآن)، وكذلك السيوطي في كتابه:(تناسق الدرر في تناسب السور) ، ومن الدراسات البلاغية الحديثة: رسالة الماجستير للباحث سامي بن عبدالعزيز العجلان، بعنوان: الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية، وغيرها .

**ثانيًا:** يعد التناسب وجهًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم، فتأتي هذه الدراسة استجابة لأمر الله لتدبر القرآن الكريم، والإقبال عليه؛ لمعرفة إعجازه، والوقوف عند حكمه وأسراره، وهي حكم وأسرار لا حصر لها، وليس لها غاية تنتهي عندها.

**ثالثًا:** تتجلى أهمية هذا البحث في كونه دراسة تطبيقية لعلم التناسب من خلال سورة الزلزلة، فيعد هذا البحث توظيفًا حقيقيًّا لجهود العلماء السابقين في هذا المجال، ومن الأهمية بمكان تضافر التطبيق مع التنظير في إبراز أهمية علم التناسب، وبيان مكانته.

**رابعًا:** لسورة الزلزلة – بسبب تعدد موضوعاتها، ومقصودها وأساليبها البلاغية– مكانتها وفضلها، كيف وقد اختُلف فيها هي هل مكية أو مدنية؟ فبسبب ذلك كله جاءت هذه الدراسة لتبين ما تميزت به من تناسب، وبيان ما اشتملت عليه من أنواع التناسب، وبيان أغراضه، وإبراز أسراره البلاغية، ونكته البيانية.

**أهداف الدراسة:**

تتجلى الأهداف التي أسعى إلى تحقيقها فيما يأتي:

أولًا: تعريف التناسب، وبيان كونه وجهًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ثانيًا: بيان بلاغة موقع سورة الزلزلة بذكر علاقتها مع السورة التي قبلها (البينة) والسورة التي بعدها (العاديات).

ثالثًا: إبراز التناسب داخل السورة: ببيان علاقة آخر السورة بمطلعها.

رابعًا: إظهار تناسب السورة مع مكيتها وخصائصها الموضوعية والأسلوبية.

**منهج الدراسة:**

ستقوم الدراسة على المنهج الوصفي، القائم على الاستقراء والتحليل؛ الاستقراء لأنواع التناسب في سورة الزلزلة، من خلال النظر في كلام العلماء

على تعدد تخصصاتهم، وتحليل تلك الأنواع، وبيان بلاغتها ومناسبتها لمقامها، ومدى تحقيقها لأهدافها.

**خطة البحث:**

جاء البحث في مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ذكرت في المقدمة: أهمية الموضوع، وسبب الاختيار، وأهداف الدراسة، ومنهج الدراسة، وخطة البحث.

وفي التمهيد ذكرت ما يأتي:

أولًا: التناسب: تعريفه وأهميته.

ثانيًا: ترتيب آيات القرآن وسوره.

وجاء البحث في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تناسب سورة الزلزلة مع السورة التي قبلها، والسورة التي بعدها.

المبحث الثاني: التناسب داخل السورة: علاقة آخر السورة بمطلعها.

المبحث الثالث: تناسب السورة مع مكيتها وخصائصها الموضوعية والأسلوبية.

ثم الخاتمة، ذكرت فيها نتائج البحث التي توصلت إليها، وبعض التوصيات العلمية.

وبعد: فهذه هي أهداف البحث وغاياته التي أسعى إلى تحقيقها وبيانها – بإذن الله– فإنْ تحقق ذلك فهو توفيق من الله وفضل؛ فهو صاحب الفضل والجود، والله أسأل أن يأخذ بيدي، ويفتح علي، ويهديني للحق والصواب، فهو نعم المولى ونعم المسؤول، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**التمهيد، ويشمل:**

**أولًا: التناسب: تعريفه وأهميته**

من الأهمية بمكان بيان المراد بالتناسب في هذه الدراسة؛ ليكون القارئ على بينة من أمره، وليتضح له المراد منه قبل البدء بمباحثه، ولذا أفردت للتعريف مساحة في التمهيد في بيان المراد من التناسب والتعريف به، في اللغة وفي اصطلاح العلماء.

**التعريف اللغوي للتناسب:**

تدل مادة (نسب) في أصلها -كما يذكر ابن فارس- على الاتصال، اتصال شيء بشيء، أيًّا كان ذلك الاتصال، ومنه: النسب؛ لما يكون بين طرفين من مناسبة واتصال(١)، كما أن فيها دلالة على الاشتراك والمناسبة، ومن ذلك قولهم: فلان يناسب فلانًا؛ فهو نسيبه، وقريبه(٢).

**التعريف الاصطلاحي للتناسب:**

ومن هذا المعنى اللغوي يتبين المراد بالتناسب في الاصطلاح، فقد جاء منبثقًا منه، ودالًّا عليه، ففي التناسب ارتباط وثيق بين أجزاء الكلام بعضه ببعض، وعلوق بين أول الكلام وآخره؛ لمناسبة بينهما، واشتراك في أمر ما، وقد جاء تعريف العلماء المهتمين به مؤكدًا هذا المعنى، ومشيرًا إليه، يقول البقاعي في تعريفه -وهو إمام في هذا الباب-: «علم مناسبات القرآن: علم تُعرف منه

---

(١) انظر: مقاييس اللغة: مادة نسب.

(٢) انظر: لسان العرب: مادة نسب.

عِللُ ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة»[1]، ولا غرو أن يكون سر البلاغة ولبها وجوهرها؛ فهو من محاسن الكلام وغرره؛ وذلك؛ لارتباط الكلام بعضه ببعض؛ دلالة على تلاحمه وتماسكه، وعدم انقطاعه[2]، وبفضل ما في آيات القرآن من تناسب وتلاحم تكون كالكلمة الواحدة، فتتجلى في أبهى حللها، وأزهى حالاتها: متسقة المعاني، منتظمة المباني[3].

وقد استوقفتني كلمة (علم)، ولهذه اللفظة أهميتها، ودلالاتها في مقام تعريف التناسب، وبيان ماهيته وأهميته، فهو علم له قواعده وأصوله، علم منضبط بآلياته ومنهجيته العلمية، له علماؤه، وكتبه التي أُلِّفت فيه، وسطرها العلماء قديمًا وحديثًا، وقد أشار إلى هذه الحقيقة، وقررها الإمام البقاعي؛ فقد عرف التناسب بأنه: «علم تعرف منه علل الترتيب»[4]، فقد غدا «علمًا مستقلًّا، واضح المعالم ومحدد السمات، بل جعلوه أحد علوم القرآن المعتبرة»[5].

**أهمية التناسب:**

ومن خلال ما تقدم من التعريف تتجلى أهمية هذا العلم وقيمته، وعلو قدره، وسمو مكانته، فهو من العلوم الشريفة، ولذا صار مبحثًا مهمًّا لدى علماء القرآن المنشغلين فيه: تنظيرًا وتطبيقًا، ونال حقه وحظه من البحث والتأليف،

---

(١) نظم الدرر: ١/٦.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: ١/٣٦.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: ١/٣٦.

(٤) نظم الدرر: ١/٥.

(٥) الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين: ١٥٤.

كما أنه صورة من صور تلاحم الكلام وترابطه، فيكون الكلام معه كالبناء المحكم، المتلائم الأجزاء والأطراف

وممن أبان عن أهمية التناسب خير بيان البقاعي، فقد كشف عن أهميته في قوله: ((وثمرته: الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء؛ بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط، والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال... فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو))[1].

ومن هنا كانت عناية العلماء به، والتفاتتهم إليه، وذلك أن أكثر لطائف القرآن الكريم وأسراره مرتبطة في ترتيبه، وترتب بعضه على بعض، كما يذكر ذلك السيوطي، ومن هنا شرف هذا العلم، وعظمت مكانته[2].

وبقي أن أشير إلى أن التناسب في القرآن الكريم وجه من وجوه إعجازه، وسر من أسرار بيانه؛ بسببه وبسبب غيره تعذر على البشر الإتيان بمثله، وبمعارضته، وقد كان هذا الأمر حاضرًا لدى علماء التناسب، فأشادوا به، وأشاروا إليه، ومن الإشارات المهمة والمتقدمة في هذا قول الرازي –في معرض حديثه عن سورة البقرة –: ((ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه،

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: ١/٥.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢/٩٧٦.

فهو أيضًا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك»[1].

وقد أشار البقاعي أيضًا إلى هذه الحقيقة وقررها، مبينًا أن التناسب وجه من وجوه إعجاز القرآن، وأنه وجه خفي لا يظهر إلا بالتأمل، وطول النظر، لا يظفر به إلا ذكي فطن، حيث يقول: «وكلما دقق النظر في المعنى عظُم عنده موقع الإعجاز... فانفتح له ذلك الباب، ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار»[2].

وممن أشار إلى هذه الحقيقة وقررها الطاهر بن عاشور، فقد تحدث في مقدمة تفسيره عن موضوعات مهمة متعلقة بالتفسير، وكانت المقدمة الثامنة عن (اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها) يقول -عند حديثه عن ترتيب سور القرآن وتناسبها، وارتباط بعضها ببعض-: «وذلك الترتيب مما يدخل في وجوه إعجازه من بداعة أسلوبه... فلذلك كان ترتيب آيات السورة الواحدة على ما بلغتنا عليه متعينًا بحيث لو غُير عنه إلى ترتيب آخر لنزل عن حد الإعجاز الذي امتاز به»[3].

---

(١) مفاتيح الغيب: ١١٢/٧.

(٢) نظم الدرر: ١١/١-١٢.

(٣) التحرير والتنوير: ٧٩/١.

وسيتجلى -بإذن الله- هذا الإعجاز من خلال الجانب التطبيقي لهذا البحث، وهو المقصود من فكرة البحث، والباعث له، وفي التطبيق غنية عن التنظير، ولذا أكتفي بهذا القدر من التمهيد عن بلاغة التناسب وإعجازه، والتعريف به.

**ثانيًا: ترتيب آيات القرآن وسوره**

آثرتُ الحديث عن هذه القضية في التمهيد؛ لأن لها ارتباطًا وثيقًا بموضوع التناسب، فمن المهم أن أشير إلى قضية ترتيب سور القرآن، وآياته كذلك، فمن خلال هذا الترتيب وآليته تتضح منه بلاغة التناسب، ويتبين كيف كان هذا التناسب وجهًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ولن أتحدث عن هذه القضية بإسهاب، ولن أتعرض للخلاف الوارد فيها، بل سأذكر ما عليه إجماع الأمة، وما اتفق عليه المفسرون، وعلماء علوم القرآن، وستكون توطئة لمباحث هذا البحث، ومن هنا جاء ذكرها في التمهيد.

**ترتيب آيات القرآن:**

فيما يتعلق بترتيب الآيات في القرآن الكريم فهو أمر توقيفي، موقوف على رسول الله ﷺ قولًا واحدًا، ولا خلاف فيه بين العلماء، وبذلك جزم السيوطي، وحكى الإجماع فيه[1]، وذكر هذه القضية وأكدها أيضًا الزركشي بقوله: ((ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه -صلى الله عليه وسلم- وأمره من غير خلاف بين المسلمين))[2]، فقد كان -عليه السلام- يأمر كتاب الوحي بكتابتها في موضعها، فيطلب منهم ذلك قائلًا: ضعوا هذه الآيات في السورة التي فيها

(١) الإتقان في علوم القرآن: ١/١٠٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/٢٥٦.

كذا وكذا، وضعوا الآية في موضع كذا وكذا، فكان هذا الترتيب بأمر من رسول الله ﷺ، وبوحي أوحاه الله إليه[١].

وهذا الرأي هو الذي يتناغم مع إعجاز القرآن في نظمه وأسلوبه، ولا خلاف بين العلماء في هذه القضية؛ وذلك أن ((مسألة النظم القرآني التي تشكل أبرز دلائل الإعجاز في القرآن تعود إلى ذلك الترتيب، مما يدل على أنه من عمل الوحي يقينًا، والله أعلم))[٢].

**ترتيب سور القرآن:**

أما ما يتعلق بترتيب سور القرآن فيما بينها، فقد تباينت فيه أقوال العلماء وتعددت، وأصح الأقوال في ذلك وأقواها وأرجحها أنه توقيفي أيضًا موقوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه تولاه بنفسه[٣]، كما أمره بذلك جبريل -عليه السلام- ((فكان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتب السور، كما كان مرتب الآيات على هذا الترتيب الذي لدينا اليوم، وهو ترتيب مصحف عثمان الذي لم ينازع أحد من الصحابة فيه، مما يدل على عدم المخالفة، والإجماع عليه))[٤].

---

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن: ١٣٩.

(٢) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ١٣٧.

(٣) انظر: دراسات في علوم القرآن: ٧١.

(٤) مباحث في علوم القرآن: ١٤١.

وهو محل إجماع، وقد حصل به اليقين، من النقل المتواتر على هذا الترتيب، وأجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم كما هو في المصحف الذي بين أيدينا[١].

وهذا القول هو الذي يتناغم أيضًا مع إعجاز القرآن الكريم، فسور القرآن في ترتيبيها لا تقل عن ترتيب آياته، وترابطها فيما بينها وتلاحمها، وهذا ما يرجح هذا القول ويؤيده؛ وذلك أن ((المناسبات بين السور لا تقل عن النظم، ووجه ارتباط الآيات بعضها ببعض في السورة الواحدة، وقد درج على بيان تلك المناسبات بعض المفسرين، وكانوا يطلبونها بين آخر السورة وأول السورة التي تليها))[٢]، وإلا فما معنى أن ننظر في تناسب السور فيها بينها، ونذكر أسرارها وحِكمها لو كانت من عمل البشر؟! فكأن هذا الأمر ينقض الإعجاز من أساسه، وقد لفت إلى هذه القضية الزركشي بعبارة بليغة ونفيسة حين قال: ((لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تُطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم))[٣].

يدل على ذلك أيضًا جهود العلماء ومؤلفاتهم في النظر فيما بين سور القرآن من تناسب وارتباط، فذكروا أسرارها، وبينوا بلاغتها، وأظهروا حكمها؛ لأنهم يعلمون أن هذا الترتيب من لدن حكيم خبير، وأنه نوع من أنواع إحكامه، وشدة ترابطه، وقوة تلاحمه، فكما أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير

---

(١) انظر: الإتقان: ١/٦٢.

(٢) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ١٣٨.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١/٢٦٠.

فكذلك جاءت سوره محكمة في مواضعها، مستقرة في أماكنها، بليغة في موضعها، ومن هنا جاء هذا البحث؛ ليشير إلى شيء من هذا التناسب، ويتحدث عن بلاغته، وعظيم أثره وتأثيره.

**المبحث الأول: تناسب سورة الزلزلة مع السورة التي قبلها، والسورة التي بعدها**

تقع سورة الزلزلة في ترتيبها في المصحف بين سورة (البينة) وسورة (العاديات)، وفي مجيئها بين هاتين السورتين تناسب عجيب، وتناسق بديع، وقد يظن الظان لشدة ما بينهما من مناسبة وارتباط أن هذه السور الثلاث نزل بعضها إثر بعض – وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن – ومع ذلك فإن بين هذه السور الثلاث زمنًا طويلًا، ونزلت كثير من السور فيما بينها، فقد نزلت أولًا سورة العاديات في بدايات العهد المكي، وبعدها نزلت سورة الزلزلة على اختلاف في مكية السورة ومدنيتها، كما ذكرتُ ذلك في التمهيد، ثم نزلت سورة البينة في أواسط السور المدنية(١).

هذا ما يتعلق بترتيب نزولها آثرت ذكره ليتبين لنا حسن تناسق سورة الزلزلة وبلاغة تناسبها مع السورتين اللتين وقعت بينهما؛ ليتبين معه إعجاز القرآن في تناسبه، وترتيب صوره، ومن هنا كان القول الصحيح أن ترتيب سور القرآن توقيفي، وكأن هذا الترتيب وحي أوحاه الله إلى رسوله ﷺ، فجاءت كل سورة مستقرة في مكانها، متناسبة مع ما قبلها ومع ما بعدها.

وفي هذا المبحث بيان لهذا التناسب، وكشف لهذا الإعجاز، وحتى تتضح هذه العلاقة يحسن ذكر خاتمة سورة البينة، ومفتتح سورة الزلزلة؛ إذ جاء في ختام

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن: ١/١٩٣.

سورة البينة قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [سورة البينة:٨]. وجاء في مفتتح سورة الزلزلة قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [سورة الزلزلة:٥].

ومن المهم أن أبين في بداية هذا المبحث أن النظر في التناسب في كل أنواعه إنما هو اجتهاد، ونوع من أنواع تدبر آيات الله الكريمة، يعود إلى ما يفتح الله به على عبده من النظر والتأمل، ولا يصح أن يكون قطعيًّا فهو إلى الاجتهاد أقرب، ولكنه من العمل المندوب له، كما أنه استجابة لأمر رب العالمين بالدعوة لنا إلى تدبر كتابه والإقبال عليه، ومن هنا جاء اهتمام العلماء بهذا العلم؛ إذ رفعوا من شأنه، وبينوا منزلته، وأعلو قدره تنظيرًا وتطبيقًا؛ من خلال مقولاتهم وتطبيقاتهم للنظر في بيان وجوه المناسبات بين سور القرآن.

والمناسبة بين سورة الزلزلة والسورة التي قبلها (البينة) ظاهرة جلية، واضحة بينة عند التأمل والنظر؛ لما بينهما من ارتباط وثيق كانتا معه كالسورة الواحدة، فكانت سورة الزلزلة امتدادًا لسورة البينة، ومقررة لمضمونها: تأكيدًا وبيانًا[1]، وقد جاء كلام العلماء المختصين في علم التناسب في الإشارة إلى هذا الارتباط الوثيق بين السورتين، فجاءت سورة الزلزلة امتدادًا للحديث عن جزاء المؤمنين والكافرين الذي خُتمت به سورة (البينة)، بل وكأنها إجابة لسؤال تضمنته تلك

(١) انظر: الأساس في التفسير: ١١/٦٥٨٦.

الخاتمة، فالحديث عن الجزاء والحساب لكل من المؤمنين والكافرين يستدعي سؤالًا في ذهن المتلقي، وهو متى يكون ذلك الجزاء؟ ومتى يكون حساب كل فريق من الفريقين؟ فجاءت سورة الزلزلة مجيبة عن ذلك السؤال، مبينة وقته في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾

يدل على هذه المناسبة ويقررها:

قول الإمام الرازي: ((ذكروا في المناسبة بين أول هذه السورة، وآخر السورة المتقدمة وجوهًا أحدها: أنه لما قال تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ فكأن المكلف قال: ومتى يكون ذلك يا رب؟ فقال تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾[1]

ومن هنا يتبين وجه المناسبة بين سورة الزلزلة والسورة التي قبلها، فهي كالجواب لسؤال ناتج من مضمون ما ختمت به سورة البينة، فجاءت مبينة وقت جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين، بينت ذلك بذكر علاماته، وهي الزلزلة، وبها سميت السورة.

ولم تقف سورة الزلزلة عند بيان موعد الحساب والجزاء، بل ذكرت علامته، وفي ذلك مزيد تفصيل وبيان في الجواب، ومنه يظهر هذا الارتباط الوثيق بين السورتين، وممن أشار إلى هذه المناسبة وأكدها البقاعي في قوله: ((لما ختم تلك بجزاء الصالح والطالح في دار البقاء على ما أسلفوا في مواطن الفناء ذكر في هذه

(١) مفاتيح الغيب: ٣٢/٢٥٣.

أول مبادئ تلك الدار، وأوائل غاياتها، ... وقد أبلغ في التحذير بالإخبار بإظهار ما يكون عليه الجزاء))[1].

وثمة مناسبة أخرى أشار إليها بعض العلماء، وهو أن في سورة الزلزلة – بهذا الافتتاح – مزيدًا من الوعيد والترهيب بذكر يوم الجزاء، وما يكون فيه من أهوال تبدأ بزلزلة الأرض، وإخراج ما فيها، ففي ذكر علامات يوم القيامة بزلزلة الأرض وعيد لكل من أعرض وكفر، فلم يقف الأمر عند بيان وقت الجزاء والحساب، بل تعدى ذلك إلى ذكر علامة من علاماتها تأخذ بمجامع القلوب، وترتعد لها فرائص الكافرين، فأي تخويف وتهويل بذكر زلزلة الأرض، وإخراجها لمن فيها، ومن هنا يظهر وجه من وجوه التناسب بين هاتين السورتين؛ وذلك أنه لما ذكر في ((السورة المتقدمة وعيد الكافر، ووعد المؤمن، أراد أن يزيد في وعيد الكافر فقال: أجازيه حتى يقول الكافر السابق ذكره وما للأرض تزلزلت؟ فذكر –سبحانه– الطائفتين وذكر ما لكل طائفة))[2].

هذه بعض الحكم والأسرار في تناسب سورة الزلزلة مع السورة التي قبلها سورة البينة، ولم يقف إعجاز التناسب عند هذا الحد، بل امتد ليشمل أيضًا مناسبة هذه السورة مع السورة التي تليها في المصحف وهي سورة العاديات، والتناسب بينهما أيضًا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآي والسور: ٢٠٢/٢٢.

(٢) اللباب في علوم الكتاب: ٤٤٠/٢٠.

وبسبب ما بين سورتي الزلزلة والعاديات من تناسب وعلاقة؛ فقد اكتفى الإمام السيوطي بالإشارة إلى هذا الارتباط دون بيانه وشرحه؛ إشارة إلى وضوحه وظهوره، فهو ظاهر لا يخفى[1]، فسورة العاديات -كما يذكر سعيد حوى- كثيرة الصلة بما قبلها، شديدة الارتباط بها[2]، فقد جاءت سورة العاديات متممة لغرض سورة الزلزلة ومكملة له؛ ففي الزلزلة حديث عن الآخرة، وعن الجزاء الدقيق للأعمال، وهذا من شأنه أن يجعل الإنسان يقبل على آخرته، ويزهد في دنياه، ولكن الإنسان يعرض ويغفل، ولذا جاءت سورة العاديات في بيان حقيقة الإنسان، وبيان ما يعتريه من الغفلة واللهو والانشغال عن آخرته بدنياه الفانية، فبعد أن ذكر سبحانه جزاء الأعمال خيرها وشرها ((أتبع ذلك فيها بتعنيف من آثر دنياه على آخرته، ولم يستعد لها بفعل الخير، ولا يخفى ما في قوله هناك : ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾، وقوله سبحانه هنا: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩﴾ من المناسبة والعلاقة، فقد انتهت سورة الزلزلة بقوله: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾

وسورة العاديات تتحدث عن طبيعة الإنسان وكنوده ومحبته للمال والدنيا وتعالج ذلك، وفي ذلك حض على فعل الخير وترك الشر))[3].

وفي سورة الزلزلة حديث عن الناس والهلع الذي يصيبهم يوم القيامة حين تزلزل الأرض، وتخرج أثقالها، وتلفظ ما في بطنها، فيخرج الناس جزعين وجلين

---

(١) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور: ١٧٦.

(٢) انظر: الأساس في التفسير: ٦٦٤٤/١١.

(٣) الأساس في التفسير: ٦٦٤٤/١١.

خائفين يتساءلون ما لها؟ وما الذي أصابها، وفي العاديات حديث عن الناس والهلع الذي يصيبهم من الحروب وويلاتها، فالحديث عن الخيول وصهيلها، وعن الأرض وغبارها له أثره في النفوس وتأثيره في القلوب، وكأن ما يصيب الناس في الدنيا من ويلات وفزع وأهوال توطئة لما يكون في الآخرة من أهوال وأحداث مع ما بينهما من فروقات، ومن هنا جاءت سورة الزلزلة قبل سورة العاديات ممهدة له، ومشيرة إليه، وقد أبان عبد الكريم الخطيب الصلة الوثيقة بين هاتين السورتين، وذلك في قوله: ((الزلزلة التي تزلزلها الأرض يوم البعث، وإخراج الأرض أثقالها وما في جوفها من الموتى، وصدور الناس أشتاتًا من القبور إلى موقف الحشر، والمواجهة هناك بين الكافرين والمؤمنين، كل هذا تمثله صورة واقعة في الحياة، نجدها حين تقوم حالة حرب بين الناس، فتزلزل الأرض تحت أقدام الجيوش الزاحفة نحو ساحة القتال؛ بما يركبون من خيل، وما يحملون من عدد القتال، وهم يصدرون من بيوتهم في سرعة الرياح العاصفة إلى لقاء العدو، لا يمسكهم شيء عن الانطلاق حتى يبلغوا ساحة الحرب، هكذا يوم الحرب إنه من يوم القيامة قريب في أهواله وشدائده، وما يلقى الناس منه من هول وشدة؛ ففي ميدان الحرب حساب وجزاء، وربح وخسران، وهول وفزع، يشمل المحاربين جميعًا، فالحرب وميدانها في الدنيا هي أقرب شيء يمثل به المحشر والحساب والجزاء في الآخرة، ولهذا جاءت سورة العاديات تالية سورة الزلزلة لهذه المشابه التي بينهما))[1].

(١) التفسير القرآني للقرآن: ١٦٥٣/١٦.

وفي مجيء سورة الزلزلة بين هاتين السورتين مزيد إحكام وترابط بين هذه السور الثلاث، وكأنها نزلت معًا، وكأن كل سورة نزلت إثر السورة التي قبلها، رغم ما بينهما من السنين والأحداث، فسبحان من هذا كلامه!

**المبحث الثاني: التناسب داخل السورة: علاقة آخر السورة بمطلعها**

كان المبحث الأول من هذا البحث معنيًّا بالتناسب الخارجي لسورة الزلزلة مع السورة التي قبلها، والسورة التي بعدها، أما هذا المبحث فسيكون معنيًّا بالتناسب الداخلي لسورة الزلزلة، ببيان علاقة آخر السورة بمطلعها، وهو نوع من أنواع التناسب، ووجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم في هذه السورة.

ومن الأهمية بمكان النظر في التناسب بين أجزاء السورة بين مطلعها وخاتمتها، فبينهما ارتباط وثيق، ومناسبة قوية، تظهر لمن أمعن نظره، وطال تدبره، ولا غرو أن يتجلى هذا التناسب من مفتتح السورة وخاتمتها، فلا يخفى أثر الافتتاح وبلاغته، فهو من المواضع التي يتأنق فيها المتكلم، ويتخير فيها ألفاظه ومعانيه، ومن هنا جاء الاهتمام ببراعة الاستهلال، وبحسن الابتداء في تاريخنا الأدبي والبلاغي، فهو من المواضع التي يجب أن يهتم بها المتكلم، بل ويتأنق فيه، حتى يكون هذا الافتتاح –كما يذكر الخطيب القزويني– أعذب لفظًا، وأحسن سبكًا، وأصح معنى، وأقوى نظمًا وانتظامًا، وذلك أن مطلع السورة ومفتتحها: من حسن الكلام وأوله، ومن هنا جاء الاهتمام به وتأكيده؛ فهو ((أول ما يقرع السمع، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى

جميعه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه، ورفضه وإن كان في غاية الحسن»[1]، فيحسن ويقع في النفس موقعه حين يدل على المراد، ويبين المقصود، ولن يكتمل حسنه، وتظهر قيمته إلا تبعه في ذلك حسن الانتهاء، وجمال الختام، فكلاهما تحت نظر المتلقي، ولهما الأثر والتأثير في القبول والرفض.

في الخاتمة أيضًا من المواضع التي يتأنق بها المتكلم، ويعتني بها عناية فائقة، ويوليها قدرًا من الاهتمام زائدًا؛ لأن الخاتمة «آخر ما يعيه السامع، ويرتسم في النفس، فإن كان مختارًا جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير، وإن كان غير مختار كان بخلاف ذلك، وربما أنسى محاسن ما قبله»[2].

هذا في بلاغة البشر، أما في بلاغة رب البشر فقد بلغ الغاية في الإعجاز في كل شيء في ألفاظه، وفي مواضع ألفاظه، وقد تميز القرآن الكريم بحسن مطالعه وختامه، ولذا جاء الاستفتاح هنا معجزًا بليغًا، مرتبطًا بسياق السورة كلها، ومنه يتبين مناسبته لمقامه وللغرض المسوق له.

ومما يؤكد هذا الأمر ويقرره أن علماء البلاغة والبيان حين يتحدثون عن براعة الاستهلال وحسن الابتداء، فإنهم يقررون ويشيرون إلى ما تميز به القرآن الكريم، وأنه بلغ الغاية التي لا مزيد عليها، ولا مطمع بعدها، ومن ذلك قول أبي هلال العسكري: «وإذا كان الابتداء حسنًا بديعًا ومليحًا رشيقًا كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام، ولهذا المعنى يقول الله تعالى:(ألم وحم

(١) الإيضاح: ١٤٨/٤.

(٢) الإيضاح: ١٥٧/٤.

وطس وطسم وكهيعص) فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد؛ ليكون ذلك داعية لهم إلى الاستماع لما بعده، والله أعلم بكتابه))[1]، وذكر هذه الحقيقة وقررها كذلك ابن الأثير الذي يقول: (( وإنما خصت الابتداءات بالاختيار؛ لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقًا بالمعنى الوارد بعده توافرت الدواعي على استماعه، ويكفيك من هذا الباب: الابتداءات الواردة في القرآن الكريم كالتحميدات المفتتح بها في أوائل السور، وكذلك الابتداءات بالنداء ... فإن هذا الابتداء مما يسترعي الانتباه، ويوقظ السامعين للإصغاء إليه، وكذلك الابتداءات بالحروف المقطعة فإن هذا أيضًا مما يبعث على الاستماع إليه؛ لأنه يقرع السمع شيء غريب ليس له بمثله عادة، فيكون ذلك سببًا للتطلع نحوه، والإصغاء إليه))[2].

وحتى تتبين بلاغة الاستفتاح في سورة الزلزلة، وحسن براعة الاستهلال فيها؛ فلا بد من النظر في الآيات التي جاءت في مفتتحها، فقد افتُتحت السورة بقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ تتجلى براعة الاستهلال فيها من خلال أداة الشرط (إذا) ببيان حدث عظيم، تتفطر القلوب من هوله، وتصعق الأسماع من ذكره بما يكون في يوم القيامة من الأحداث والأهوال، جاء ذلك من خلال الشرط؛ ليبين فعل الشرط والجزاء في السورة.، ففيه من القوة

(١) كتاب الصناعتين: ٤٣٧.

(٢) المثل السائر: ٢/٢٢٤ بتصرف.

والتشويق، والإثارة والتأثير، وفي هذا الاستهلال إعلام بموضوعات السورة، وكشف عنها، وصدع بها، وهذا هو السرّ بتسمية هذا المصطلح بـ"براعة الاستهلال"؛ ((لأن فيه بيانًا وكشفًا عن المراد بيانه؛ لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته فيه))[1].

ولذا كان للعلماء وقفة مع استفتاح السورة بأداة الشرط (إذا)، وبيان بلاغته، وبيان تناسبه وتناسقه مع غرض السورة كلها، ذكر الإمام الرازي سر الاستفتاح به في قوله: ((لقائل أن يقول: (إذا) للوقت فكيف وجه البداية بها في أول السورة؟ وجوابه من وجوه: الأول: كانوا يسألونه متى الساعة؟ فقال: إذا زلزلت الأرض، كأنه تعالى قال: لا سبيل إلى تعيينه بحسب وقته، ولكني أعينه بحسب علاماته))[2]، ولا شك أن في ذكر علاماتها مزيدًا من الترهيب والتخويف لهذا اليوم الذي من علاماته: زلزلة الأرض، وإخراج أثقالها، وفي مجيء حرف الشرط (إذا) دون (إنْ) تأكيد لوقوعها، وتقوية له، فهو أمر واقع لا محالة، ولذا جاء ذكر علاماتها، وفي هذا تحقيق لغرض الترهيب والتخويف بتأكيد يوم البعث والنشور، فلا مجال لإنكاره، والتكذيب به.

وللطاهر بن عاشور كلام يتعلق ببلاغة هذا الاستفتاح، بيّن فيه بلاغته، وسر ارتباطه بغرض السورة ومضمونها، يقول: ((وافتتاح الكلام بظرف الزمان مع إطالة الجمل المضاف إليها الظرف تشويق إلى متعلَّق الظرف؛ إذ المقصود

---

(١) أنوار الربيع: ٥٦/١.

(٢) مفاتيح الغيب: ٢٥٣/٣٢.

ليس توقيت صدور الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم، بل الإخبار عن وقوع ذلك وهو البعث، ثم الجزاء، وفي ذلك تنزيل وقوع البعث منزلة الشيء المحقق المفروغ منه، بحيث لا يهم الناس إلا معرفة وقته وأشراطه، فيكون التوقيت كناية عن تحقيق وقت الموقَّت»[1].

ومن هنا يلتقي هذا الاستفتاح مع غرض السورة ومضمونها، ومنه تتبين المناسبة الوثيقة بين استفتاح السورة وغرضها، وتجلت من هنا بلاغته وروعة بيانه الذي بلغ حد الإعجاز في براعة استهلاله.

ويُعد هذا الافتتاح من براعة الاستهلال الذي تميزت به هذه السورة، وقد حسُن الافتتاح، وتمكن في هذا المقام؛ لمناسبة مضمونه في إظهار عِظم اليوم المتحدث عنه في هذه الآيات في صدر هذه السورة، ولا غرو أن تأتي بهذه البلاغة، وبهذا الحسن من البراعة في الاستهلال، فهي من المواضع التي يُتأنق فيها؛ فيكون ذلك سببًا للإقبال عليها، والإصغاء لها، وسبب هذا الحسن: أن فيها إشارة إلى المقصود، وتحقيقًا للمراد، فقد تضمنت الإشارة إلى ما سيق الكلام من أجله، فيبين المقصود، ويكشف عنه في أبلغ عبارة، وأجزل معنى[2].

هذه هي بلاغة براعة الاستهلال في هذه السورة، بيد أن هذه البلاغة مضاعفة مزدوجة؛ وذلك حين النظر إلى حسن ختام السورة، وبيان المناسبة بينهما، فبين آخر السورة ومطلعها تناسب قوي، وارتباط وثيق، بلغت به حد الإعجاز، وقد كان هذا التناسب تحت نظر علماء التفسير، والمنشغلين بعلوم

---

(١) التحرير والتنوير: ٤٣٢/٣٠.

(٢) انظر: علم البديع، بسيوني فيود :٢٥٧.

القرآن، ولهم في ذلك إسهامات علمية، وجهود مباركة، بينوا من خلالها بلاغة القرآن، وعظيم ارتباط أوله بآخره، وحكم هذا التناسب وعلاقاته، وممن أشار إلى هذه القضية وأكدها الدكتور سامي العجلان، في قوله: ((وقد تأثر علماء الدراسات القرآنية في بحوثهم حول هذه المسألة بحديث البلاغيين والنقاد عن حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، إلا إن بحوثهم كانت أشد دقة، وأكثر تفصيلًا، فقد قاموا بإحصاء دقيق لفواتح السور القرآنية ثم عملوا على تصنيفها إلى عدة أنواع... (وفي) تناسب خاتمة السورة مع مضمونها، في هذه المسألة أيضًا تأثر علماء الدراسات القرآنية بحديث البلاغيين والنقاد عن حسن الختام وبراعة المقطع))[١].

وحين النظر في كلام العلماء في بيان تناسب خاتمة السورة مع مطلعها ومضمونها فيكاد يكون التقرير والتأكيد هو الغرض الرئيس في جميع خواتم السور؛ فتظهر مناسبة خاتمة السورة مع مطلعها مؤكدًا لمضمونها، مقررة له؛ لكون خاتمة السورة آخر ما يقرع الأسماع، ويستقر في الوجدان؛ تثبيتًا له وتأكيدًا؛ ليظل صداه في النفوس وفي الوجدان لا يفارقه أبدًا، حتى يعمل بمقتضاه، ويسير على هداه، ومن هنا كان التقرير والتأكيد هي العلاقة البارزة في التناسب بين خاتمة السورة ومضمونها ومطلعها[٢].

---

(١) الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين:٢٢٤-٢٣٠.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٢٣٣.

وقد تجلى هذا الأمر في سورة الزلزلة؛ إذ جاءت خاتمتها متناسبة مع مطلعها، مقررة لمضمونه، ومؤكدة له، فيكاد يكون مضمون الخاتمة وهو قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

مقررًا ومؤكدًا لمضمون ما افتتحت به السورة في قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ فسوف يرى الإنسان عاقبة أعماله، والجزاء عليها إن خيرًا وإن شرًّا يوم القيامة حين تزلزل الأرض، وحين تخرج الأرض أثقالها، وكأن العلاقة بينهما علاقة السؤال والجواب، في تحديد الوقت الذي يرى فيه كل واحد منها جزاء أعماله، وفي ذلك مزيد من الوعيد والتهديد، في مطلع السورة زلزلة للأرض، وفي خاتمتها محاسبة دقيقة للأعمال وإن صغرت ودقت كالذرة، وفي هذا تناسب بين خاتمة السورة ومطلعها في تحقيق غرض السورة ومقصودها، يؤكد هذه العلاقة، ويبرز هذا التناسب بينهما السيوطي في قوله: «لما ذكر فيها وعيد الكافر ووعد المؤمن أراد أن يزيد في وعيد الكافر فقال: أجازيه ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ ثم جمع بينهما هنا في آخر السورة بذكر الذرة من الخير والشر»[1].

وفي ذكر الخير والشر في خاتمة السورة في قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾. تناسب مع مطلعها في ذكر الإنسان وتساؤله في قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ فهي تتحدث عن الإنسان المفزوع من هول يوم القيامة، وقد يكون مؤمنًا، وقد يكون كافرًا، وقد يكون طائعًا، وقد يكون عاصيًا، ومن هنا جاء

(١) تناسق الدرر في تناسب السور: ١٧٥.

ذكر الخير والشر في خاتمة السورة ليتوافق مع الإنسان في كل حالاته، فسيُجازى على أعماله كلها إن خيرًا وإن شرًّا، وسيراها ماثلة أمامه رأي العين، وكما يدرك الإنسان زلزلة الأرض، ويحس بها، فكذلك يشاهد جزاء أعماله ويبصرها، فقد صارت الغيبيات في يوم القيامة مشاهدة، ويدركها المرء بحواسه، بل سيرى الذرة على شدة خفائها، وقلة وزنها.

وليست الرؤية هنا مقصودة لذاتها، وإنما ما بعدها وهي المجازاة عليها، وفي ذكر الرؤية تحقيق لمعنى الترهيب في هذا الموقف العصيب، وهذا يتناسب مع زلزلة الأرض، وذهول الإنسان وتساؤله؛ وذلك أن ((العمل الطيب إذا رآه صاحبه سُرّ به، ورأى في وجهه البشير الذي يحمل إليه رحمة الله ورضوانه في هذا اليوم العظيم، والعمل السيئ إذا رآه صاحبه حاضرًا بين يديه في مقام الحساب ساءه ذلك، وملأ نفسه حسرة وغمًّا؛ إذ كان هو الشاهد الذي يشهد بتأثيمه وتجريمه))[1].

ومما يبرز الارتباط الوثيق بين خاتمة السورة ومطلعها، وشدة التناسب بينها حرف الفاء في قوله: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ بدلالته على التفريع، فقد تفرع عن ذكر زلزلة الأرض واضطرابها، والحديث عن أخبارها، وعن سؤال الإنسان وذهوله تفرع عن هذا كله هذه الحقيقة الماثلة للعيان التي جاءت في خاتمة السورة ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ ففي التفريع دلالة على ما بينهما من

(١) التفسير القرآني للقرآن: ١٦٥٢/١٦.

تناسب وارتباط، فقد تفرع هذا من ذلك، ولذا ففي الجملة المتفرعة مزيد من الترغيب والترهيب المتوافق مع أهوال يوم القيامة، وما يحدث للأرض من زلزلة واضطراب، وقد جاء نظم الآية متوافقًا مع هذا الترغيب والترهيب، محققًا أيضًا تناسبه مع مطلع السورة، يتجلى ذلك من خلال التكرار الواقع فيها، وقد أشار إلى هذا التكرار وبلاغته الطاهر بن عاشور في قوله: ﴿ وإنما أعيد قوله (ومن يعمل) دون الاكتفاء بحرف العطف؛ لتكون كل جملة مستقلة الدلالة على المراد، لتختص كل جملة بغرضها من الترغيب أو الترهيب، فأهمية ذلك تقتضي التصريح والإطناب، وهذه الآية معدودة من جوامع الكلم، وقد وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالجامعة الفاذة﴾[1].

وثمة تناسب في نظم مطلع السورة وخاتمتها، فقد بدأت السورة بأسلوب الشرط في قوله: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ وختمت به في قولّه: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ ولا يخفى أثر هذا التناسب، ودلالته في تحقيق غرض السورة ومقصودها، كما أن فيه إبرازًا لهذا الأسلوب، وتوظيفًا لبلاغته، فالشرط من أدوات الربط، فثمة ارتباط وثيق بين الشرط والجزاء، وترتب أحدهما على الآخر، فهما كالشيء الواحد في بيان المعنى وإبرازه، وفي تحقيق الأغراض المنوطة بهما، فلا يتم المعنى إلا بهما معًا، يدل على ذلك ويقرره قول ابن يعيش –في حديثه عن

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٤٩٥، ووصفها بالجامعة الفاذة : ورد في حديث رواه البخاري في صحيحه (٢٣٧١). والفاذة بمعنى: القليلة النظير. صحيح البخاري: ١/ ٥٧٠.

الجملة الشرطية-: (( فهذه الجملة وإن كانت من أنواع الجملة الفعلية، وكان الأصل في الجملة أن يستقل الفعل بفاعله، نحو: قام زيد، إلا أنه لما دخل هنا حرف الشرط ربط كل جملة من الشرط والجزاء بالأخرى حتى صارتا كالجملة الواحدة، نحو المبتدأ والخبر، فكما أن المبتدأ لا يستقل إلا بذكر الخبر، كذلك الشرط لا يستقل إلا بذكر الجزاء))[1].

وفي مجيء الشرط في مطلع السورة وخاتمتها دلالة على ترابط الأحداث الواردة في هذه السورة، وترتب بعضها على بعض إشارة إلى أن كثيرًا من الأحداث يوم القيامة كانت جزاء لما سبقها من المواقف والأفعال في الدنيا، فقد ترتب جواب الشرط على فعلها، فالشرط في فاتحة السورة في قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ فقد جاءت هذه الأحداث والأهوال في إثر بعض، وترتب بعضها على الآخر، وهو ترتيب مراد ومقصود، ولذا جاءت أداة الشرط (إذا) للتأكيد على وقوع هذا الأمر، وصدق حدوثه.

وجاء ختام السورة بالشرط في قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ إشارة إلى الارتباط الوثيق بين أفعال العباد، والمجازاة عليها، فقد ترتب الجزاء على الفعل، ومن هنا جاء أسلوب الشرط في هذا المقام ليبرز هذه الحقيقة ويؤكدها، فالجزاء من جنس العمل، جزاء وفاقًا.

---

(١) شرح المفصل: ٨٩/١.

إذن فقد ناسب خاتمة السورة مطلعها من خلال أسلوب الشرط، فقد جاء في كلا الموضعين؛ دلالة على الارتباط الوثيق بينهما، وهذا الارتباط شرط رئيس، ومسوغ مهم للتناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها، وللزركشي كلام حول هذا المعنى في معرض حديثه عن التناسب، يقول: ﴿ وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها – والله أعلم – إلى معنى ما رابط بينهما﴾(١).

ومع ما بين هذين الموضعين من تناسب وتوافق في أسلوب الشرط، إلا أن ثمة مغايرة دقيقة بينهما، واختلافًا في بناء أسلوب الشرط فيها؛ وذلك من بدائع إعجاز القرآن، وعظيم بلاغته، وبيان ذلك فيما يأتي:

في مطلع السورة جاء الشرط فيها فعلًا ماضيًا في : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾، واللافت في ذلك في أسلوب الشرط الذي خُتمت به السورة في قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ فهذا الختام يتحدث عن الجزاء والحساب يوم القيامة على ما كان من العباد من أعمال صدرت منهم فيما مضى في حياتهم الدنيا، ومع ذلك فقد جاء فعل الشرط في كلا الموضعين فعلًا مضارعًا (يعمل)، فما سر مجيء فعل الشرط فيها فعلًا مضارعًا؟

ممن أدرك هذا الملحظ، وذكر أسراره صاحب تفسير أضواء البيان، فقد أشار إليه في تفسير هذه الآيات، مبينًا أنه لم يقف على من ذكر ذلك من العلماء ممن قرأ لهم، يقول: ﴿ لم أر من تناوله بالبحث، وهو في صيغة (يعمل)؛ لأنها صيغة

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ١/٣٥.

مضارع وهي للحال والاستقبال، والمقام في هذا السياق ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾ وهو يوم البعث وليس هناك مجال للعمل، وكان مقتضى السياق أن يقال: فمن عمل مثقال ذرة خيرًا يره، ولكن الصيغة هنا صيغة مضارع، والمقام ليس مقام عمل، ولكن في السياق ما يدل على أن المراد بعمل مثقال ذرة أي : من الصنفين ما كان من قبل ذلك، فهم إنما يرون في ذلك اليوم أعمالهم التي عملوها من قبل، فتكون صيغة المضارع هنا من باب الالتفات، حيث كان السياق أولًا من أول السورة في معرض الإخبار عن المستقبل ... ثم جاء الالتفات بمخاطبتهم على سبيل التنبيه والتحذير، فمن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة شرًّا يره في الآخرة))[1].

ومن خلال ما تقدم في هذا المبحث يتجلى ترابط هذه السورة وتلاحم أجزائها فيما بينها، فقد عاد آخرها على أولها، ودل أولها على آخرها، من خلال ما بين فاتحة السورة وخاتمتها من تناسب، ومن هنا كان القرآن الكريم معجزًا في نظمه، معجزًا في سبكه، معجزًا في تناسب أجزاء كلامه بعضه ببعض.

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: ٩/ ٥٨.

**المبحث الثالث: تناسب السورة مع مكيتها وخصائصها الموضوعية والأسلوبية**

للسورة المكية خصائصها الموضوعية والأسلوبية التي تتميز بها، وتتمايز بها عن السور المدنية التي لها أيضًا خصائصها الموضوعية والأسلوبية، ومن المهم في موضوع التناسب النظر إلى المكي والمدني، فبينهما ارتباط وثيق، وصلة قوية، ومن المهم أن يكون المكي والمدني تحت نظر الباحث حين ينظر في بلاغة التناسب، فهو جانب مهم؛ إذ تتجلى هذه البلاغة من خلال النظر في مدى التناسب بينهما.

ومن هنا جاء هذا المبحث للنظر في هذا النوع من التناسب، وبيان تناسب سورة الزلزلة مع مكيتها، ومن المهم قبل بيان التناسب في هذا المجال: الحديث أولًا عن مكية سورة الزلزلة، وتحرير الخلاف فيها، فهي من السور المختلف فيها: هل هي مكية أم مدنية، فثمة من يرى أنها سورة مكية، وهو قول ابن مسعود وجابر بن عبدالله وعطاء بن أبي رباح رضي الله عنهم، وثمة من يرى أنها مدنية، وهو رأي ابن عباس وقتادة ومقاتل رضي الله عنهم[١]؛ بحجة أن آخر السورة نزل في رجلين كانا بالمدينة، وبسبب ما كان منهما[٢].

والأرجح من أقوال العلماء والمفسرين أنها مكية، وثمة أسباب تؤيد هذا القول وتناصره، فمن العلماء من أشار في تفسيره إلى أنها مكية، ومنهم من يذكر أنها مكية ابتداء، ثم يشير إلى قول من يرى أنها مدنية[٣]، يؤيد ذلك أيضًا

---

(١) انظر: زاد المسير: ٤/٤٨٠.

(٢) انظر: البحر المحيط: ١٠/٥٢١.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ٥/ ٥١٠

مضمون السورة وموضوعاتها، ففيها خصائص الخطاب المكي: الموضوعية والأسلوبية، فالحديث عن أهوال يوم القيامة يكثر في السور المكية[١]، وكذلك الأمر هنا في سورة الزلزلة، ففيها حديث عن يوم القيامة وأهواله، وذكر علاماته، حين تتحرك الأرض وتهتز، وبغمضة عين ﴿ تتبدل الأحوال، وتتغير الأوضاع فتضطرب الأرض وتهتز، ويندك كل صرح شامخ، وينهار كل جبل راسخ، وتخرج الأرض ما في جوفها من الأجساد والكنوز﴾[٢].

ومن خلال ماتقدم تتبين المناسبة بين مكية السورة وخصائصها الموضوعية والأسلوبية، فمن حيث موضوعات السورة فهي قائمة على الترهيب والتحذير من الركون إلى الدنيا، ومن الاستعداد للآخرة، ولما بعد الموت، بذكر علامات الساعة، والتخويف بها، ويؤيد ذلك أيضًا ما ورد في سبب نزولها: وهو أن ﴿الكفار كثيرًا ما يسألون عن يوم الحساب فيقولون: أيان يوم القيامة؟ ويقولون: متى هذا الوعد؟ وما أشبه ذلك، فذكر لهم في هذه السورة علامات ذلك فحسب؛ ليعلموا أنه لا سبيل إلى تعيين ذلك اليوم الذي يعرض الناس فيه على ربهم لعقاب المذنبين، وثواب المؤمنين﴾[٣].

ومنها يتجلى تناسب سورة الزلزلة مع الغرض الذي جاءت لبيانه وتحقيقه، فمن خلال ما تتميز به السور المكية بعامة، وسورة الزلزلة بخاصة يتبين أن

---

(١) انظر: التفسير الوسيط: ٣/٢٩١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم جزء عم ١/١٤٣.

(٣) تفسير المراغي: ٣٠/٢١٨.

مقصودها: هو ﴿إثبات أن يوم القيامة حق، وبيان ما اشتمل عليه من أهوال، وتأكيد أن كل إنسان سيجازى على حسب عمله في الدنيا﴾[1]؛ ولذا فالغرض الذي تسعى إلى تحقيقه، وتذكير الناس به هو: إثبات البعث والجزاء بعد الموت، وذكر علاماته وأشراطه، وبيان ما يقع للناس فيه من الخوف والهلع، وطريقة المحشر، ومجازاة الناس على أعمالهم من خير وشر، وذلك ببيان ما يكون في يوم القيامة من أهوال وأحداث، فالأرض ﴿تتزلزل وترتجف وترتج؛ حتى يسقط ما عليها من بناء وعلم، فتندك جبالها، وتسوى تلالها، وتكون قاعًا صفصفًا لا عوج فيه ولا أمتًا﴾[2].

والغرض من هذا كله: هو حث الناس جميعًا على فعل الخير وإن قل، واجتناب الشر وإن قل[3]، ولذا فغرض السورة وموضوعاتها: الترغيب والترهيب، والتخويف والإنذار، والتذكير بعاقبة الأعمال، والمعاقبة عليها، فكلٌّ سيلقى جزاء عمله إن خيرًا وإن شرًّا، فالسورة كلها قائمة على ﴿التحذير والتخويف من زلزلة الأرض، وفيها الحث على الأعمال الصالحة، وفيها أن العمل لا يضيع مهما قل، حتى ولو كان مثقال ذرة أو أقل فإنه لا بد أن يراه الإنسان ويطلع عليه يوم القيامة﴾[4].

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٥/٤٧٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١/٩٣٢.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٩٠.

(٤) تفسير جزء عم: ١/٢٩٠.

ولأن الغرض من هذه السورة: التخويف والتحذير، والوعيد والترهيب؛ فقد جاءت ألفاظ السورة كلها وتراكيبها محققة هذا الغرض، ومتوافقة معه، وهذا من التناسب البديع في هذه السورة، فمن تأمل ألفاظها، وأمعن النظر فيها وجد ألفاظًا قوية مجلجلة، عنيفة، تهز القلوب، وتؤثر في الوجدان، ففيها زلزلة وبعثرة، وهزة للأرض قوية بسببها تلفظ ما في جوفها، وتخرج أثقالها، ثم تخبر وتكشف حقيقة الأمر بأن الله أمرها بذلك وأوحى لها، فهي تستجيب لأمر ربها، والحديث عن يوم القيامة بما فيه من أهوال وأحداث متناسب مع خصائص الآيات المكية بقوتها وجزالتها وشدة بلاغتها، ومن يتأمل ذلك يدرك أن ((الألفاظ المختارة لموقف القيامة بالغة الإثارة، قوية الوقع، إما بعنفها كالزلزلة والرج الدك، والنسف والرجف، والمور، والصيحة والانشقاق، والطامة والغاشية والواقعة، والبعثرة والانتثار، وإما بدقتها كمثال الذرة والهباء المنبث والعهن المنفوش والسراب والدخان))[1].

يتجلى أيضًا تناسب هذه السورة مع مكيتها ومضمونها من خلال افتتاحها، فثمة ارتباط وثيق بين فواتح السور والخصائص الأسلوبية للسور المكية، ويكاد يكون الافتتاح بأسلوب الشرط (إذا) خاصية من خصائص الخطاب المكي، واللافت للنظر أن السور المكية التي افتُتحت بأداة الشرط (إذا) جميعها تتحدث عن يوم القيامة وأحداثها، وما يكون فيها من الحساب والجزاء، ولا غرو في ذلك؛ فيوم القيامة وأهواله من أبرز موضوعات القرآن الكريم في العهد المكي[2]،

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/٨٠.

(٢) انظر: مقدمة في خصائص الخطاب القرآني: بين العهدين: المكي والمدني: ١٦٢.

ومن هنا يظهر التناسب جليًّا في هذه السورة من هذا الجانب، ولم يقف التناسب عند هذا الحد، فقد ذهب به إلى ما هو أبعد من ذلك وأبلغ في استخدامه لأدوات الشرط في مفتتح سوره؛ إذ لم ﴿ يستخدم أسلوب (إذا) الشرطية استخدامًا تقليديًا لمجرد تقرير هذا المعنى، وإنما وظفه توظيفًا آخر تحول به إلى مجموعة من اللوحات المؤثرة التي يحرص على رسمها للساعة وأحداثها﴾[1].

وفي إسناد الفعل إلى ما لم يُسم فاعله في قوله: "زُلزلت" تتمة لهذا التناسب، وتحقيق لغرض السورة كلها، ففيه معنى الترهيب والتخويف، فحذف الفاعل هنا زاد الموقف هولًا ورعبًا، فليس المقام هنا حديثًا عن الفاعل، إنما هو حديث عن الفعل، ولذا استأثر بالمشهد كله؛ ليكون العقل مرتبطًا بهذه الأحداث الجسام، وبهذه المشاهد المؤثرة المزلزلة التي تخطف الأبصار، وتأخذ بمجامع العقول، ومن هنا كثر مجيء هذا التركيب في الحديث عن مشاهد يوم القيامة وأهوالها، ويكاد يكون هذا الأمر مطردًا، ﴿ قل أن تخطئها العين في أحداث يوم القيامة، وهي أن القرآن الكريم يصرف الحدث عمدًا عن محدثه، فلا يسنده إليه، وإنما يأتي به مبنيًّا للمجهول، أو مسندًا إلى غير فاعله، على المطاوعة أو المجاز، وقد شغل أكثر المفسرين والبلاغيين بتأويل الفاعل عن الالتفات إلى اطراد هذه الظاهرة الأسلوبية في أحداث القيامة ... وقد هدى تدبر هذه الظاهرة الأسلوبية إلى أن البناء للمجهول تركيز للاهتمام بالحدث، بصرف النظر عن محدثه، وفي الإسناد المجازي أو المطاوعة تقرير لوقوع الأحداث في

---

(١) المصدر السابق: ١٦٢.

طواعية تلقائية؛ إذ الكون مهيأ للقيامة على وجه التسخير، والأحداث تقع تلقائيًّا لا تحتاج إلى أمر أو فاعل»[1]، وفي ذلك تناسب وتناغم مع غرض السورة القائم على التخويف والتهديد، بإبراز يوم القيامة وما يكون فيه من المشاهد والأحداث.

ومن التناسب الحاضر واللافت في هذه الزلزلة: التناسب الإيقاعي في السورة كلها، وقد جاء هذا الإيقاع الصوتي متناسبًا ومتناغمًا مع مكية سورة الزلزلة، ومع خصائصها الموضوعية والأسلوبية، وقد جاء هذا التناسب في السورة كلها من أولها حتى آخرها.

جاء هذا التناسب الإيقاعي في السورة في موضعين: الموضع الأول في بداية السورة من قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ الموضع الثاني في نهاية السورة في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ وفصل بين الموضعين بآية واحدة وهي قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾ فمحسن السجع حاضر في السورة كلها، فهي قائمة عليه في جميع آياتها، وهو كما عرفه الخطيب القزويني: « تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا معنى قول السكاكي: الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر»[2]، ولا يخفى ما يحدثه السجع من توافق لفظي في الكلمات في نهاية حروفها، ولهذا السجع

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/٨٠ -٨١.

(٢) الإيضاح: ٤/٩٢.

أثره في السمع، فله إيقاعه المؤثر الذي يحمل على الإصغاء والتأمل، ولذا فهو ليس محسنًا لفظيًّا فحسب، بل له أثره وتأثيره في تحقيق المعنى وتقريره في نفس السامع، وفي قلبه، فتطرب له الأذن، ويتأثر به القلب، ومن ثَم يقبل عليها، ويدرك محتواها، وهذا هو المقصود، فكأن هذا السجع وسيلة لتحقيق غايات هذه السورة وأهدافها، ومن هنا تتجلى قيمة هذا السجع وبلاغته، فهو ﴿ يؤثر في النفوس تأثير السحر العجيب، ويلعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم؛ لما يحدثه من النغمة المؤثرة والموسيقى القوية التي تطرب لها الأذن، وتهش لها النفوس، فتقبل على السماع من غير أن يداخلها ملل، أو يخالطها فتور؛ فيتمكن المعنى في الأذهان، ويقر في الأفكار﴾[1].

ومن هنا كثر ورود السجع في العهد المكي، فقوة الإيقاع القائم على السجع خاصية من خصائص الخطاب المكي الذي تشكل منه أغلب بناء السور المكية، فالسمة الغالبة للسور المكية قصر سورها، وقوة إيقاعها، وقد لفتت هذه الخاصية نظر المختصين المهتمين بدراسة خصائص الخطاب المكي، ومن أولئك الدكتور السيد عبد المقصود جعفر الذي تحدث عن توافر أسلوب السجع في الآيات المكية، وتساءل قائلًا: ﴿ ما سر هذه الخاصية؟ ولماذا جمعنا فيها بين قصر السور والآيات من ناحية ووضوح الموسيقى أو الإيقاع من ناحية أخرى؟﴾[2]، ولهذه الخاصية الأسلوبية، ولما يتضمنه السجع من وقع وتأثير في

(١) علم البديع: ٣٠٩.

(٢) مقدمة في خصائص الخطاب القرآني: بين العهدين: المكي والمدني: ١٠٨.

الأذن مع أهميتهما علاقةٌ وثيقةٌ بمضمون الآيات وغايتها، ولذا ربط العلماء بين هذا الأسلوب والمخاطبين به، وبيان أثره في تحقيق غاياته، وعليه فإن ورود السجع في أغلب الآيات المكية راجع ((إلى مقتضيات موضوعية نابعة من طبيعة ظروف الدعوة وأهدافها في الفترة المكية،إن الخطاب الذي يتصدى لهذه الظروف لا يمكن أن ينطلق بأسلوب المواجهات العقلية أو المنطقية المجردة، وإنما لا بد أن ينطلق بأسلوب الجرعات المركزة المتدفقة التي تحرك النفوس الجامدة وتهز القلوب العنيدة))[1]، ولذا فورود أسلوب السجع في سورة الزلزلة تناغم وتناسب مع خصائصها الأسلوبية؛ من أجل إبراز خصائصها الموضوعية، فقد جاء السجع في المقطع الأول من السورة في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ لتأكيد يوم البعث والنشور، وقيام الناس لرب العالمين، وهو اليوم الذي ينكره المشركون، بل ويسخرون منه، ولذا جاء الحديث عنه بهذه الصورة البليغة، وبهذه الآيات المتلاحقة، ومن خلال السجع الذي ختمت به آيات هذا لمقطع تأكيدًا لوقوعه، فلعل النفوس من خلال هذا الأسلوب تقبل على هذه الآيات، وتتأثر بها، وتؤمن بمضمونها، وتصدق بوعدها ووعيدها، وإلا فقد قامت عليهم الحجة، من خلال هذا الأسلوب المؤثر الذي يأخذ بمجامع القلوب، وتصغي له الآذان، فما أقوى ألفاظها! وما أشد وقعها على الأذن! (زلزالها، أثقالها، ما لها، أخبارها، لها) ألفاظ تتابع وتقوى وتشتد في مخاطبتها لهذه العقول المتحجرة، والقلوب

(١) المصدر السابق: ١٠٨.

المعرضة عن ربها، وقد انتهى هذا المقطع القائم على السجع بقوله: (أوحى لها)، وفي هذا الكلمة ﴿ إشارة إلى أنها بمجرد الإشارة إليها من الله خضعت لمشيئة الله تعالى، فلم تكن في خضوعها لربها محتاجة لأن يردد عليها القول أو يؤكد لها الأمر، بل هو مجرد اللمح والإشارة، وهذا هو شأن الخاضع المطيع الذي لا إرادة له مع من يأمره، إنه لا يحتاج إلى أمر صريح مؤكد، بل تغني الإشارة عن العبارة فالوحي هنا هو التلميح دون التصريح﴾[1].

وأما الموضع الثاني فقد جاء في نهاية السورة في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ فقد جاء السجع في كلمة "يره" ومن بلاغة أنه يأخذ بالأسماع والقلوب معًا، ويؤثر فيها جميعًا، ويظل صداه يتردد في الأسماع، ويظل أثره خالد مخلدًا، كيف وقد ختمت السورة به، كيف وقد تماثل السجع بين الكلمتين، وبلغت به حد التكرار؟! فلا غرو والحالة هذه أن يكون أثره مضاعفًا، وتأثيره قويًّا مجلجلًا، وقد جاء السجع استجابة لموضوع الآيات ومضمونها، ومحققًا الغرض منها في مخاطبة الناس جميعًا، والتأثير فيهم في بيان عاقبة أعمالهم، وقد أحاط هذا السجع بالأعمال كلها: خيرها وشرها، لا يدع منه شيئًا، فهو ﴿شامل عام للخير والشر كله؛ لأنه إذا رأى مثقال الذرة التي هي أحقر الأشياء وجوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، وهذه الآية غاية في الترغيب في فعل الخير لو قليلًا،

(١) التفسير القرآني للقرآن: ١٦٥١/١٦.

والترهيب من فعل الشر ولو حقيرًا»[1]، ولأن فيها ترغيبًا وترهيبًا جاءت من خلال هذا الأسلوب؛ ليقوى أثره وتأثيره فيهم، وليدفعهم إلى فعل الخير ترغيبًا، أو ترك الشر ترهيبًا، ومن هنا جاء السجع في هذه السورة في جل آياتها، فكان حاضرًا في أول السورة وخاتمتها، وكان السجع فيها قويًّا ظاهرًا، مؤثرًا ومجلجلًا، هذا هو الإيقاع على امتداد السورة كلها من أولها إلى آخرها؛ فهو في السورة ظاهر لافت؛ تبصره العين، وتصغي إليه الآذان، فقد جاءت السورة كلها في « لمسات سريعة عنيفة مثيرة، ينتقل من إحداها إلى الأخرى قفزًا وركضًا ووثبًا في خفة وسرعة وانطلاق، حتى ينتهي إلى آخر فقرة فيها، فيستقر عندها اللفظ والظل والموضوع والإيقاع، كما يصل الراكض إلى نهاية المطاف»[2].

ولم يكن هذا السجع على أهميته مقصودًا لذاته، فقد كان طوعًا للمعنى، تابعًا له، ولذا كان بليغًا، وكان مؤثرًا، وكان له الأثر البالغ في تحقيق المعنى وإبرازه، فهذا السجع شأنه شأن المحسنات البديعية كلها لا يحسن ولا تظهر قيمته إلا إذا جاء عفو الخاطر، بلا تكلف فيه ولا تصنع، وحين يُقصد قصدًا، ويكون متكلفًا فسيكون ثقيلًا ممجوجًا ترغب عنه النفوس، وتنفر منه الآذان، وفي سورة الزلزلة كشأنه في سائر القرآن جاء «على أحسن صورة، وأجمل موقع، لا تكلف فيه، ولا تصنع ولا جور على المعنى لحساب اللفظ، ولا اقتسار للفظ بدون دلالة حسنة ... فليس فيه موضع نازل في معناه، أو مستكره في لفظه،

(١) تفسير السعدي: ٩٣٢/١.

(٢) الأساس في التفسير: ٦٦٤٤/١١.

بل كله جارٍ مع طبيعة الأسلوب القرآني في قوته وجزالته وبلاغته وفصاحته »[1].

هذا هو السجع وبلاغته في مفتتح هذه السورة، وكذلك خُتمت السورة به في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ تأكيدًا لأهميته، وقوة أثره في السمع وفي القلوب معًا، فهو وسيلة من وسائل التأثير التي تحمل الأذن على الإصغاء، والقلب على الإقبال والإذعان، ولكن شتان بين من يرى خيرًا، وبين من يرى شرًّا، ومن هنا جاء الترغيب والترهيب في هذه السورة من خلال هذا الأسلوب المؤثر القوي المجلجل كشأن سائر السور المكية، بيد أن حسن هذا السجع وبلاغته لا تقف عند هذا الجانب اللفظي الإيقاعي، بل يتجاوزه إلى بناء المعنى وإظهاره، فهو جزء رئيس من بناء المعنى، يكمل به، وينقص بفقده، ولو خلا النظم من هذا المحسن اللفظي لما تم المعنى، ولما ظهر المقصود منه.

**خاتمة البحث**

الحمد لله على بلوغ الغاية في إعداد هذا البحث وكتابته، فها هي خاتمة البحث بحمد الله وتوفيقه، والله أسأل أن أكون حققت الغاية من الكتابة في هذا الموضوع المهم في الدراسات القرآنية والبلاغية، فقد بذلت فيه جهدي ووقتي، وما هو إلا توفيق الله وتسديده، وقد أفدت منه كثيرًا، وخرجت بعدد من النتائج العلمية، ومن أهمها ما يأتي:

---

(١) خصائص التعبير القرآني: ٢/٤٤٣-٤٤٤.

**أولًا**: أن التناسب في القرآن الكريم وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، به وبسببه تعذر على الناس الإتيان بمثله، وعجزوا عن معارضته، وتعدد التناسب في القرآن تأكيد لهذا الإعجاز، وإظهار له، وقد قرر من كتب في التناسب هذه الحقيقة، وفي هذه الدراسة تجلت هذه الحقيقة وتقررت من خلال التطبيق: بدراسة التناسب في سورة الزلزلة.

**ثانيًا**: أن النظر في التناسب في كل أنواعه إنما هو اجتهاد، ونوع من أنواع تدبر الكتاب الكريم، يعود ذلك إلى ما يفتح الله به على من يطيل التأمل والنظر، ولا يصح أن يكون قطعيًّا، فهو إلى الاجتهاد أقرب، وهو من العمل المندوب له، كما أنه استجابة لأمر رب العالمين بالدعوة لنا إلى تدبر كتابه والإقبال عليه، ومن هنا جاء نظر العلماء وجهدهم إلى هذا العلم، فرفعوا من شأنه، وبينوا منزلته، وأعلوا قدره تنظيرًا وتطبيقًا.

**ثالثًا**: أن الجانب التطبيقي هو الميدان الرحب الذي يتجلى فيه التناسب، فلا ينبغي الاكتفاء بالجانب النظري في بيان ما تميز به القرآن في تناسب سوره وآياته، بل تجب الإفادة منه في التطبيق والتحليل، ففي التطبيق إقامة الدلائل والشواهد على بلاغة هذا التناسب، وعلى إعجاز القرآن الذي بلغ الغاية التي لا مطمح بعدها.

**رابعًا**: الغرض الرئيس من سورة الزلزلة: الترغيب والترهيب، الترغيب في أعمال الخير، والترهيب من أعمال الشر، وبيان عاقبة كلٍّ من الفريقين في الآخرة: يوم البعث والجزاء، وقد جاء التناسب في هذه السورة متناغمًا مع هذا الغرض، وفي تحقيقه وإبرازه، تجلى ذلك في السورة كلها، ومن خلال ما بين

فاتحتها وخاتمتها من تناسب وارتباط، فقد افتتحت بقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ ففي يوم القيامة وأهوالها: ترهيب وتخويف للناس جميعًا، ثم جاءت خاتمة السورة في قوله سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ تضمنت السورة الترغيب والترهيب معًا، الترغيب بالعمل الصالح، وبيان جزائه، والترهيب من العمل السيئ وبيان جزائه، ومصير أصحابهما يوم تزلزل الأرض، ويوم تخرج أثقالها، وكان التناسب وسيلة بلاغية ظاهرة في إبراز هذا الغرض وإظهاره.

**خامسًا:** توافر في سورة الزلزلة أنوع التناسب الداخلي المتمثل في تناسب آخر السورة بمطلعها، وبتناسبها مع مكيتها، فقد جاءت متناغمة مع خصائص الخطاب المكي: الموضوعية والأسلوبية، وقد جاءت سورة الزلزلة من خلال هذا التناسب محكمة الترابط، مكينة في موقعها؛ تحقيقًا لغرض السورة، ومقصودها.

**سادسًا:** تجلى في سورة الزلزلة التناسب الداخلي في العلاقة بين مفتتح السورة وخاتمتها، فثمة ارتباط وثيق بين هذين الموضعين، فقد انعطف آخر السورة على أولها، كما جاء آخر السورة مقررًا لمضمون فاتحة السورة ومؤكدًا لها، ولم يقف هذا التناسب في المضمون، بل تجاوزه حتى إلى الأسلوب، فثمة تناسب في الأسلوب في مفتتح السورة وخاتمتها، فقد بدأت السورة بأسلوب الشرط، وانتهت به أيضًا

**سابعًا:** لسورة الزلزلة ارتباط وثيق مع السورة التي تقدمتها والسورة التي تلتها في ترتيبها في المصحف، فقد جاء ختام سورة البينة تمهيدًا للموضوعات التي

تضمنتها سورة الزلزلة، كما جاءت خاتمة السورة تمهيدًا لسورة العاديات، فصارت هذه السور الثلاث بهذا التناسب كالسورة الواحدة، فظهر معها لحمتها وتلاحمها، وشدة ارتباط بعضها ببعض، ولذا فسورة الزلزلة بلغت الإعجاز في التناسب الخارجي المتعلق بالسور التي قبلها والتي بعدها.

**ثامنًا:** من التناسب الظاهر في سورة الزلزلة وهي سورة مكية تناسبها مع خصائص الخطاب المكي، وقد شمل هذا التناسب خصائص المكي: الموضوعي والأسلوبي، ففيها حديث عن القيامة وأهوالها، وعن يوم الحساب والجزاء، وهذه هي جل موضوعات السور المكية، وحضرت خصائص الخطاب المكي: بقوارع ألفاظها، وقوة خطابها، وعباراتها التي تقوى وتشتد، وقد كان السجع فيها حاضرًا، والاستفهام فيها بارزًا، وقد وُظِّف ذلك كله في بيان غرض السورة ومقصودها.

ولا يفوتني في نهاية هذا البحث أن أوصي الباحثين والمهتمين بالدراسات القرآنية إلى الالتفات إلى موضوع التناسب، وإعطائه مزيدًا من العناية والاهتمام، فما زال – وبرغم ما كتب فيه – بحاجة إلى مزيد من الدراسات البلاغية التطبيقية، خاصة ما يعنى بالتناسب الداخلي في السورة الواحدة، وذلك هو الاستثمار الحقيقي لجهود علمائنا الأوائل عن التناسب وأهميته وبلاغته. **وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.**

***

## ثبت المصادر والمراجع


١. الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، الطبعة السادسة ١٤٢٤هـ.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

٣. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير، بيروت، ط: الثانية: ١٤١٤هـ.

٤. الِإيضاح، للخطيب القزويني، دار إحياء الكتب الإسلامية، بيروت، (د. ت).

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

٦. أنوار الربيع في أنواع البديع، لعلي صدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الأولى: ١٣٨٨ هـ.

٧. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث.

٩. التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس:١٩٨٤م.
١٠. تفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدين ابن كثير، قدم له عبد القادر الأرناؤوط، دار السلام، الرياض، ط: الأولى: ١٤١٣هـ.
١١. التفسير البياني للقرآن الكريم، لعائشة محمد عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة.
١٢. تفسير القرآن العظيم جزء عم، لعبد الملك بن محمد بن قاسم العاصمي دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م.
١٣. التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٤. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى: ١٣٦٥هـ، ١٩٤٦ م.
١٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى.
١٦. تناسق الدرر في تناسب السور، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن محمد الدرويش، عالم الكتب، الطبعة الثانية: ١٤٠٨.

١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تقديم: محمد النجار، تصحيح: محمد البسام، دار المدني، جدة، ١٤٠٨هـ.
١٨. جامع البيان عن تأويل آي البيان، لابن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.
١٩. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم إبراهيم مطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الأولى: ١٤١٣هـ.
٢٠. دراسات في علوم القرآن الكريم، للدكتور زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الرابعة: ١٤٢٨هـ.
٢١. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
٢٢. صحيح البخاري، طبعة دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٢٣هـ.
٢٣. الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، ط: الثانية.
٢٤. شرح المفصل، لابن يعيش النحوي، مكتبة المتنبي، القاهرة.
٢٥. علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة مسائل البديع، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ.

٢٦. علوم القرآن: مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، للدكتور عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
٢٧. الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٢هـ.
٢٨. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٢٩. لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة: ١٤١٣هـ .
٣٠. مباحث في علوم القرآن، للدكتور مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثامنة عشرة: ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٣١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
٣٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى: ١٤١٣هـ.

٣٣. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون دار الجيل، بيروت، ط: الأولى: ١٤١١هـ.
٣٤. مدخل إلى التفسير القرآن وعلومه، للدكتور عدنان محمد زرزور، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.
٣٥. مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٣٦. مقدمة في خصائص الخطاب القرآني بين العهدين المكي والمدني، د. السيد عبد المقصود جعفر، دار الطباعة والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.
٣٧. معالم التنزيل، للبغوي، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط: الثانية: ١٤٠٧هـ.
٣٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط: الثانية: ١٤١٣هـ.
٣٩. الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، الدكتور سامي بن عبدالعزيز العجلان، دار التفسير، جدة، ط: الثانية: ١٤٣٦هـ.

θbt AlmSAdr wAlmrAjς
1. AlÂsAs fy Altfsyr، sςyd HwŶ، dAr AlslAm، AlqAhrħ، AlTbςħ AlsAdsħ 1424h–.
2. ĂrŝAd Alςql Alslym ĂlŶ mzAyA AlqrĀn Alkrym، lÂby Alsςwd، dAr ĂHyA' AltrAθ Alςrby، byrwt، (d - t).
3. AlĂtqAn fy ςlwm AlqrĀn، ljlAl Aldyn AlsywTy، tqdym wtςlyq: d. mSTfŶ dyb Albγ́A، dAr Abn kθyr، byrwt، T: AlθAnyħ: 1414h-.
4. AlĂyDAH، llxTyb Alqzwyny، dAr ĂHyA' Alktb AlĂslAmyħ، byrwt، (d - t).
5. ÂDwA' AlbyAn fy ĂyDAH AlqrĀn bAlqrĀn، mHmd AlÂmyn bn mHmd AlmxtAr AlŝnqyTy، dAr Alfkr llTbAçħ wAlnŝr wAltwzyς، byrwt، lbnAn، 1415h—.
6. ÂnwAr Alrbyς fy ÂnwAς Albdyς، lςly Sdr Aldyn bn mςSwm Almdny، tHqyq: ŝAkr hAdy ŝkr، mTbçħ AlnçmAn، Alnjf AlÂŝrf، AlTbçħ AlÂwlŶ: 1388 h—.
7. AlbHr AlmHyT fy Altfsyr، lÂby HyAn mHmd bn ywsf AlÂndlsy، tHqyq Sdqy mHmd jmyl، dAr Alfkr، byrwt، 1420h—.
8. AlbrhAn fy ςlwm AlqrĀn، llĂmAm bdr Aldyn Alzrkŝy، tHqyq: mHmd Âbw AlfDl ĂbrAhym، mktbħ dAr AltrAθ.
9. AltHryr wAltnwyr tHryr AlmçnŶ Alsdyd wtnwyr Alςql Aljdyd mn tfsyr AlktAb Almjyd، lmHmd AlTAhr bn mHmd AlTAhr bn çAŝwr Altwnsy، AldAr Altwnsyħ llnŝr، twns:1984m.
10. tfsyr AlqrĀn AlςĎym، llHAfĎ çmAd Aldyn Abn kθyr، qdm lh çbd AlqAdr AlÂrnAŵwT، dAr AlslAm، AlryAD، T: AlÂwlŶ: 1413h-.
11. Altfsyr AlbyAny llqrĀn Alkrym، lçAŶŝħ mHmd çbd AlrHmn Almçrwfħ bbnt AlŝATŶ، dAr AlmçArf، AlqAhrħ، AlTbçħ AlsAbçħ.
12. tfsyr AlqrĀn AlςĎym jz' çm، lçbd Almlk bn mHmd bn qAsm AlςASmy dAr AlqAsm llnŝr، Almmlkħ Alçrbyħ Alsçwdyħ، AlTbçħ AlÂwlŶ: 1430 h 2009 m.
13. Altfsyr AlqrĀny llqrĀn، lçbd Alkrym ywns AlxTyb، dAr Alfkr Alçrby، AlqAhrħ.
14. tfsyr AlmrAγy، lÂHmd bn mSTfŶ AlmrAγy، ŝrkħ mktbħ wmTbçħ mSTfŶ AlbAby AlHlby wÂwlAdh bmSr، AlTbçħ AlÂwlŶ: 1365h، 1946 m.

15. Altfsyr AlwsyT llqrĀn Alkrym، lmHmd syd TnTAwy، dAr nhDħ mSr llTbAçħ wAlnŝr wAltwzyçAlfjAlħ، AlqAhrħ، AlTbçħ AlÂwlŶ.
16. tnAsq Aldrr fy tnAsb Alswr، ljlAl Aldyn AlsywTy، tHqyq: çbd Allh bn mHmd Aldrwyŝ، çAlm Alktb، AlTbçħ AlθAnyħ: 1408.
17. tysyr Alkrym AlrHmn fy tfsyr klAm AlmnAn، llŝyx çbd AlrHmn bn nASr Alsçdy، tqdym: mHmd AlnjAr، tSHyH: mHmd AlbsAm، dAr Almdny، jdħ، 1408h-.
18. jAmç AlbyAn çn tÂwyl Āy AlbyAn، lAbn jryr AlTbry، tHqyq Aldktwr çbd Allh Altrky، mrkz AlbHwθ wAldrAsAt Alçrbyħ wAlĂslAmyħ bdAr hjr، AlTbçħ AlÂwlŶ: 1422h2001 - - m.
19. xSAŶS Altçbyr AlqrĀny wsmAth AlblAγyħ، d. çbd AlçĎym ĂbrAhym mTçny، mktbħ whbħ، AlqAhrħ، T: AlÂwlŶ: 1413h-.
20. drAsAt fy çlwm AlqrĀn Alkrym، lldktwr zAhr bn çwAD AlÂlmçy، AlTbçħ AlrAbçħ: 1428h—.
21. zAd Almsyr fy çlm Altfsyr، ljmAl Aldyn Âbw Alfrj çbd AlrHmn bn çly bn mHmd Aljwzy، tHqyq: çbd AlrzAq Almhdy، dAr AlktAb Alçrby، byrwt، AlTbçħ AlÂwlŶ: 1422h.
22. SHyH AlbxAry، Tbçħ dAr Abn kθyr، dmŝq، byrwt، 1423h-.
23. AlSnAçtyn، lÂby hlAl Alçskry، tHqyq: mHmd Âbw AlfDl ĂbrAhym، wçly mHmd AlbjAwy، dAr Alfkr Alçrby، T: AlθAnyħ.
24. ŝrH AlmfSl، lAbn yçyŝ AlnHwy، mktbħ Almtnby، AlqAhrħ.
25. çlm Albdyç: drAsħ tAryxyħ wfnyħ lÂSwl AlblAγħ msAŶl Albdyç، d. bsywny çbd AlftAH fywd، mŵssħ AlmxtAr llnŝr wAltwzyç، AlTbçħ AlθAnyħ: 1418h—.
26. çlwm AlqrĀn: mdxl ĂlŶ tfsyr AlqrĀn wbyAn ĂçjAzh، lldktwr çdnAn mHmd zrzwr، Almktb AlĂslAmy، byrwt، lbnAn، AlTbçħ AlÂwlŶ: 1401h1980 - -m.
27. AlkŝAf fy HqAŶq Altnzyl wçywn AlÂqAwyl fy wjwh AltÂwyl، lÂby AlqAsm jAr Allh mHmwd Alzmxŝry، mTbçħ mSTfŶ AlbAby AlHlby wÂwlAdh، 1392h-.
28. AllbAb fy çlwm AlktAb، lÂby HfS srAj Aldyn çmr bn çly bn çAdl AlHnbly Aldmŝqy tHqyq: Alŝyx çAdl ÂHmd çbd Almwjwd، wAlŝyx çly mHmd mçwD، dAr Alktb Alçlmyħ، byrwt lbnAn، AlTbçħ AlÂwlŶ 1411h.
29. lsAn Alçrb، lAbn mnĎwr، dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby، byrwt، T: AlθAlθħ: 1413h- .

30. mbAHθ fy çlwm AlqrĀn، lldktwr mnAç AlqTAn، mŵssħ AlrsAlħ، byrwt، AlTbçħ: AlθAmnħ çŝrħ: 1412h1991 - -m.
31. Almθl AlsAŶr fy Âdb AlkAtb wAlŝAçr، lDyA' Aldyn Abn AlÂθyr، qdmh wçlq çlyh: d. ÂHmd AlHwfy، wd. bdwy TbAnħ، nhDħ mSr llTbAçħ wAlnŝr wAltwzyç.
32. AlmHrr Alwjyz fy tfsyr AlktAb Alçzyz، lÂby mHmd bn çTyħ AlÂndlsy، tHqyq: çbd AlslAm çbd AlŝAfy mHmd، dAr Alktb Alçlmyħ، byrwt، T: AlÂwlŶ: 1413h-.
33. mçjm mqAyys Allγħ، lÂby AlHsn bn fArs، tHqyq: çbd AlslAm hArwn dAr Aljyl، byrwt، T: AlÂwlŶ: 1411h-.
34. mdxl ĂlŶ Altfsyr Alqrān wçlwmh، lldktwr çdnAn mHmd zrzwr، dAr Alqlm، dmŝq، AlTbçħ AlÂwlŶ: 1416h—.
35. mfAtyH Alγyb، llĂmAm fxr Aldyn AlrAzy، dAr Alktb Alçlmyħ، byrwt، lbnAn، AlTbçħ AlÂwlŶ: 1411h1990 - -m.
36. mqdmħ fy xSAŶS AlxTAb Alqrāny byn Alçhdyn Almky wAlmdny، d. Alsyd çbd AlmqSwd jçfr، dAr AlTbAçħ wAlnŝr AlĂslAmyħ، AlTbçħ AlÂwlŶ: 1413h-.
37. mçAlm Altnzyl، llbγwy، ĂçdAd wtHqyq: xAld çbd AlrHmn Alçk، wmrwAn swAr، dAr Almçrfħ، byrwt، T: AlθAnyħ: 1407h-.
38. nĎm Aldrr fy tnAsb AlĀyAt wAlswr، lbrhAn Aldyn AlbqAçy، dAr AlktAb AlĂslAmy، AlqAhrħ، T: AlθAnyħ: 1413h-.
39. AlwHdħ AlsyAqyħ llswrħ fy AldrAsAt Alqrānyħ fy Alqrnyn AlθAmn wAltAsç Alhjryyn، Aldktwr sAmy bn çbdAlçzyz Alçjlan، dAr Altfsyr، jdħ، T: AlθAnyħ: 1436h—.

***